فكاهات

رواية

هدية العيد [1]

كان في مدينة دارتمور فتًى في الخامسة والعشرين من سنهِ يقال لهُ جيوفري بردیل من اسرةٍ متوسطة في الغنى وكان الفتى ذكيًّا نشيطاً فاخذ يجدّ في الكسب واسعدهُ الحظّ فجمع مالاً طائلاً . ولما كان عليهِ من التعقل والحزم لم يرَ من باب الحكمة ان ينفق ذلك المال الذي حصلهُ بكدّهِ واجتهادهِ في ابواب لا فائدة منها فرأى ان افضل شيءٍ يفعلهُ ان يهتمّ بالبحث عن فتاةٍ عاقلة مهذبة يسعد بالعيش معها ويقاسمها ذلك الحظ وجعل دأبهُ ارتياد مظانّ الفوز لعل التقادير ترشدهُ الى ما يكون بهِ نيل هذه المنية

واتفق انهُ خرج في يوم من ايام الآحاد لترويح نفسهِ من عناء الاشغال فدخل احدى الحدائق العمومية وجعل يتخطر فيها حتى انتهى الى شجرةٍ ذات ظلٍّ لطيف فجلس تحتها وتناول من جيبهِ كتاباً فجعل يقرأ فيهِ وبعد ان مضت عليهِ عدة ساعات وهو كذلك طوى الكتاب واقبل يتأمل فيما حولهُ من محاسن الطبيعة واذا بفتاةٍ قد اقبلت نحوهُ لم يقع بصرهُ عليها حتى شعر بميلٍ غريب يدعوهُ الى محادثتها والتقرب منها . ورأت الفتاة نظرهُ اليها

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

بذلك الانعطاف فدنت منهُ وكأن الحيآء كان ينازع جرأتها فصبغت وجنتاها باحمرارٍ وردي فاطرقت برأسها حيناً ثم رفعت الى جيوفري نظراً احدّ من السهام وحيّتهُ تحيةً لطيفة يمازجها الخشوع ثم قالت هل في امكانك يا سيدي ان تجود على فتاةٍ شقية الحظ بمساعدةٍ اعوّضها عليك ان مكنني الله او يردّ عليك هو اضعافها . وكانت كل كلمةٍ تخرق الى داخل احشآء جيوفري فاشار الى الفتاة ان تجلس بازآئهِ ثم قال لها ما اسمكِ ايتها الفتاة وما المساعدة التي ترومينها . قالت اسمي اميليا واما المساعدة التي ارجوها من فضلك فاني ابنة رجلٍ كان غنيًّا جدًّا ثم اخنى الدهر عليهِ فذهبت اموالهُ في احدى تجاراتهِ وعلى اثر ذهاب مالهِ مرض غمًّا ومات وكان موتهُ بعد ولادتي بايام قلائل . فاخذت والدتي تربيني من تعب يديها وغرست في نفسي احسن الخصال واجمل الآداب وكنت اساعدها في عمل الخياطة الذي كنا نرتزق منهُ الى ان توفاها الله اليهِ ومكثت وحدي اسعى بتحصيل قوتي من العمل نفسهِ الا اني لم اكن احصّل الا النزر اليسير وفي هذا الاسبوع لم يتيسر لي ما اشتغل بهِ ولي الآن ثلاثة ايام وليس في يدي ما امسك بهِ رمقي . وكان جيوفري يسمع لها بتمام الاقبال فلما فرغت من كلامها قال لا أحبّ اليّ من مساعدتكِ فهلمّي معي الى منزلي لاعطيكِ كل ما تشآئين . فوقفت اميليا تقلّب نظرها فيهِ وهي تدقق في فحص معنى كلامهِ واذ رأتهُ يبتسم قطّ حاجبيها وقالت كلاّ يا مولاي انني لا اذهب الى بيت احد فاعذرني فيما طلبتهُ منك وانا اسال الله ان يرشدني الى احنّ منك قلباً ثم ترقرق الدمع في عينيها وهمت بالانصراف . وادرك جيوفري ما فرط منهُ عن غير قصد

فتأسف وامسك بذراعها وسألها ان تصفح لهُ عما لم يخطر لهُ ببالٍ ثم وضع في كفها مقداراً من النقود فقبلتهُ شاكرة وسألها عن موضع سكناها فاعلمتهُ ثم حيّت وانصرفت

وبات جيوفري تلك الليلة مفكراً في حالة اميليا فلم يذق طعم المنام ومرّ عليهِ ذلك الاسبوع وهو قلق البال الى ان وافى يوم الاحد التالي فذهب الى محل الملتقى لعلهُ يصادفها هناك فخاب مسعاهُ . ولما امسى عزم على الرجوع الى منزلهِ فلم تطاوعهُ قدماهُ ولم يرَ نفسهُ الا وهو على باب منزل اميليا فدخل ولما رأتهُ استقبلتهُ بوجهٍ باش ودعتهُ للجلوس فجلس يحدثها ثم قال لها اني قد فكرتُ طويلاً في امركِ وتمثل لي ما انتِ فيهِ من مضض الحياة بانفرادكِ وفقدكِ من يعاونكِ على حالة المعاش وانا كذلك وحدي لا معين لي وقد وهبني الله من نعمتهِ ما يكفيني شر الحاجة فهل تريدين ان نقضي بقية حياتنا معاً ويسعد كلٌّ منا بصاحبهِ . وبعد محادثة طويلة اقتنعت اميليا بصدق ميل جيوفري وطهارة سريرتهِ فاجابتهُ الى ما طلب ولم يلبثا ان اتمّا عقد زواجهما في ذلك الاسبوع

وعاش جيوفري واميليا على اتمّ ما ينبغي من السعادة والسرور يخرج في الصباح الى اعمالهِ ويعود في المساء فيجدها قد فرغت من اشغال المنزل واستعدت للقياهُ فيجلسان معاً يتجاذبان اطراف الحديث ويتمتعان باهنأ ملذات الحبّ والصفاء . ولكن الدهر لا يثبت على حال ولا يذيق احداً حلاوة صفوهِ حتى يملأ لهُ كؤوساً من المرارة والسمّ الذعاف . وذلك انهُ كان في جوار جيوفري فتىً رأى اميليا فاحبها وجعل يترصد الفرص للاجتماع بها حتى

اذا كان مرةً وزوجها غائبٌ في شغلهِ جاءها زائراً فاستقبلتهُ بما فُطرت عليهِ من اللطف والرقة فازدادت بذلك جرأة الفتى وتوهم فيها الميل اليهِ ففاتحها حديث الحبّ واخذ يصف لها شغفهُ بمحاسنها . فلما سمعت اميليا ذلك منهُ نظرت اليهِ بازدراءٍ وزجرتهُ بلطفٍ وادب ولما لم يزدجر امرتهُ بالخروج من البيت وان لا يعود الى زيارتها ابداً . فاجتهد في استمالتها ما استطاع وتزلف اليها بكل ما في وسعهِ فلم تزدهُ الا صدّاً ونفاراً فخرج من عندها آئساً وقد اضمر لها الشرّ والانتقام . وكانت اميليا تودّ ان تطلع جيوفري على امرهِ الا انها خشيت العقبى فسكتت لكنها لم تزل تتوقع شرًّا من جهة الفتى لما رأت عليهِ من الغيظ وما سمعت منهُ من الوعيد فكان ذلك يقلق بالها . وتبين لزوجها ما على وجهها من ملامح الكمد فسألها عما هي فيهِ فاطلعتهُ على جلية الامر فشقّ ذلك على جيوفري وعزم على ترصد الفتى حتى اذا كان ذات ليلةٍ عائداً من شغلهِ متأخراً وقد بلغ باب المنزل اذ رأى شخصاً يتسلل بين اشجار الحديقة فصاح بهِ وقال من انت وما غرضك هنا . فقال اما انا فلا ينبغي لك ان تعرفني واما غرضي فاني اتيت اجابةً لدعوة ربة هذا البيت وقد صرفتني الآن مخافة ان يأتي زوجها ويجدني عندها . ولم يكن جيوفري يحتاج الى اكثر من هذا الكلام ليثير عوامل غيظهِ وانتقامهِ وقبل ان يفكّر فيما ينبغي ان يفعل اخرج من جيبهِ غدارةً واطلقها في صدر الفتى فسقط قتيلاً واجتمع الناس على ذلك واقبلت الشرطة فرأوا القتيل على الارض وبجانبهِ جيوفري والغدارة في يدهِ فساقوهُ الى القضاء حيث حُكم عليهِ بالسجن المؤبد والاعمال الشاقة وللحال اخذوهُ الى محل سجنهِ وقد البسوهُ رداءً

مخصوصاً باصحاب الجرائم وهو من الكتان الاسمر منسوجاً عليهِ علامات حرابٍ مثلثة الرؤوس وجعلوا لهُ رقماً يُعرَف بهِ عوض اسمهِ

واتت على جيوفري سبع سنواتٍ في سجنهِ قاسى فيها امرّ ضروب العذاب وكان يقوم باشغالهِ بتمام السكينة والخضوع فلا يسمع لهُ احدٌ صوتاً ولا يرى المسجونون معهُ سوى دموعهِ الحارّة تترقرق بين مآقيهِ

. . . . . .

ثم انهُ في مساء ليلةٍ من ليالي الربيع بينما كان اهل دار تمور لاهين بمسرّاتهم وانسهم على جاري عادتهم وقد خلا السهل الفسيح المحيط بالمدينة وبسط الليل عليهِ اجنحتهُ لم يكن يُرَى احدٌ في ذلك السهل سوى شبحٍ يتسلل بين الصخور الشاخصة وكانت ثيابهُ شبيهةً بلون التراب فتساعدهُ على الاختفاء . وما زال ذلك الشبح يزحف تارةً ويمشي طوراً وهو يتلفت الى كل جهةٍ خوفاً من طارئٍ يفاجئهُ حتى بلغ اكمةً تشرف على المدينة وكان هناك صخرٌ عالٍ قد نبتت على جوانبهِ بعض الاعشاب فالقى بنفسهِ عليها وجعل ينظر الى المدينة ثم قال مخاطباً نفسهُ

نعم لقد نجوت ... اني نجوت بطريقةٍ عجيبة لا تكاد تصدَّق . ولكن لماذا وايّ مطمعٍ لي في الحياة بعد والجنود تسعى في طلبي ... فاذا كان لا بد من الموت فطرحي بنفسي الى احدى هذه المهاوي ايسر من العود الى ماكنت فيهِ ... ولكن لا . لا ينبغي ان اقنط من العناية التي سهّلت لي هذا الفرار ... اني لا اعدم وسيلةً انجو بها من وجوه مطارديّ لكن يجب اول كل شيء ان اتخلص من هذا الثوب واذ ذاك اطير الى ...

آه يا اميليا ما فعل بكِ الدهر بعد سجني واين انتِ الآن وعلى اي حالٍ اراكِ اذا التقينا ... ثم غاص في بحرٍ من التأملات الى ان اشتدّ حلك الظلام فنهض يمشي الهوَينى وكلهُ عيونٌ وآذان حتى وصل الى اول بيتٍ من المدينة وهو قائمٌ في وسط حديقةٍ فسيحة لها بابٌ حديدي قد قامت في داخلهِ عربةٌ خالية وقد دخل الحوذيّ ليأتي بخيلها . فاغتنم جيوفري تلك الفرصة ودخل الحديقة فالقى بنفسهِ تحت العربة بين عجلاتها وهو لا يدري ماذا سيكون . وبعد قليل حضر الحوذيّ فشدّ الخيل في اماكنها وساقها فخرجت العربة وأُغلق الباب من نفسهِ وبقي جيوفري ورآءهُ . فلبث حيناً مصغياً ولما لم يسمع صوتاً نهض واجتاز في الحديقة ورأى نوراً ينبعث من احدى الغرف فقصدهُ حتى وقف امام النافذة واخذ يختلس النظر ليرى من في الغرفة ذا غلامٌ في نحو السابعة من عمرهِ اشقر الشعر بهيّ الطلعة وقد ارتدى ثوباً من ثياب المساخر وهو واقفٌ بازآء المرآة يبدي حركاتٍ تضحك الثكلى . فراقبهُ جيوفري مدةً ولما تحقق خلوّ الغرفة من غير هذا الغلام ورأى بابها موصداً من الداخل دنا من النافذة واستند عليها وهو يعجب من افعال الغلام ولما لم تكن النافذة مُقفلة دفعها بيدهِ فانفتحت ووثب هو الى داخل الغرفة . وكان يخشى ان الغلام يخاف ويصيح فيجمع عليهِ اهل المنزل الا ان الغلام التفت اليهِ مبتسماً واخذ يتأمل في ثوبهِ المرسومة عليهِ الحراب وهو يظنهُ من ثياب المساخر . ولما رأى جيوفري ذلك منهُ اطمأنّ روعهُ فاقفل النافذة ثم عاد الى الغلام وجعل يباشر مثلهُ تلك الحركات المضحكة فسرّ الغلام جداً وقال لهُ لقد سرني بقدومك هذه الليلة لانني

كل ليلةٍ امكث وحدي ولا اجد من يسليني . ثم دنا من جيوفري يؤانسهُ فجلس جيوفري على كرسيٍّ واخذ الولد في حجرهِ ثم قبلهُ ملاطفاً وقال لهُ قل لي اولاً ما اسمك ايها العزيز ومن ابوك ومن يوجد سواك في هذا البيت . قال اما والدي فلست اعرفهُ وقد اخبرتني والدتي انهُ ارتكب جنايةً عن غير قصد وحُكم عليهِ بالسجن المؤبد قبل ولادتي بثلاثة اشهر . فلما سمع جيوفري ذلك ارتعدت فرائصهُ وقال لهُ وما كان اسم والدتك قال اميليا ولكن مالي اراك ترتعد فاسمع تتمة تاريخي . بعد وفاة والدتي اخذني المستر غريفيت صاحب هذا البيت وربّاني عندهُ لانهُ ليس لهُ زوجة ولا اولاد وخصص بي هذه الغرفة لالعابي نهاراً وعين لي غيرها لمنامي واخرى لدروسي وعندي من الثياب الوف ومن الالعاب مثلها ومن وسائل السرور ما لا احصيهِ . وهو اكثر الاحيان عابس الوجه فلا يكلمني كثيراً ولهُ اخٌ لطيفٌ في الغاية لا يأتي الى البيت الا يحضر لي معهُ شيئاً من الحلوى واللعب وقد اهدى لي في هذا الصباح محفظةً فيها مبلغٌ من النقود لان هذا النهار عيد مولدي

فقاطعهُ جيوفري قائلاً واين المستر غريفيت واخوهُ الآن . قال هما مدعوّان للعشآء عند احد الاصحاب . قال ومن معك هنا في البيت . قال الخدم في المطبخ ومربيتي التي لا تلبث ان تنادبني للعشآء . غير اني قبل ذلك احبّ ان اريك جميع اثوابي لتختار لي واحداً منها البسهُ غداً على الغدآء واحبّ ان يكون غريباً جدًّا حتى لا يعرفني المستر غريفيت . ثم اخذ بيد جيوفري وقادهُ فصعد بهِ الى الدار العليا وادخلهُ غرفتهُ . وكان جيوفري لم

ينسَ الموقف الذي هو فيهِ فقال للغلام اين يضع اخو المستر غريفيت ثيابهُ فاني احتاج الى واحدٍ منها فاشار الولد الى غرفة عمهِ فلم يلبث جيوفري ان دخلها ورأى خزانة الملابس مفتوحةً فاختار منها ثوباً وفي اسرع من لمح البصر خلع ثوب سجنهِ وارتدى بالآخر وعاد الى الغلام وهو بهيئتهِ الجديدة ثم اخذ يحادثهُ ويلاطفهُ ويجتهد في تزيين شعرهِ واختيار الثوب الذي زعم انهُ سيلبسهُ اياهُ في الغد واذ ذاك نادت المربية الولد للعشآء فامرها ان تترك لهُ طعامهُ في غرفة اللعب وانهُ نازلٌ سريعاً

ولما اراد النزول للطعام دعا جيوفري ان ياكل معهُ ففعل وكان منذ المسآء السابق لم يذق طعاماً . ولما فرغ قال لهُ ايها الولد الحبيب اني قد اعددت لك ثياب الغد ولم يبقَ لك حاجةٌ بي الآن وانا مضطرٌّ ان اذهب عنك قبل رجوع المستر غريفيت واخيهِ لاني لا احب ان يرياني هنا وانت اذا حضرا فلا تخبرهما ان احداً كان عندك . قال اذن لا تكون عندنا في الغد . فتجلد جيوفري وقال لا يا ولدي فاني مسافر في هذا الليل سفراً بعيداً والآن فدعني اقبلك وانحنى على ولدهِ فقبّلهُ بقلبٍ يحترق لهفةً والدموع تسيل من عينيهِ ثم تحول للخروج فاعطاهُ الولد مفتاحاً وقال لهُ هذا مفتاح الباب الخشبيّ الصغير فاخرج منهُ واترك المفتاح فيهِ . فانسلّ جيوفري وهو لا يكاد يصدّق بالنجاة ولما بلغ الحديقة سمع وقع اقدام الغلام يجري ورآهُ وينادي همساً ان يقف ولما وصل اليهِ قال لهُ ان عمّي قد اهدى لي هذه المحفظة وانا لا احتاج الى المال الذي فيها لان عندي من كل شيء فارجو ان تقبلها تذكاراً مني لانك تراها موسومةً باسمي . ولم يتمكن جيوفري من النطق بكلمةٍ

فالقى على وجنتي ابنهِ قُبلاً حارّة تطفئها دموعهُ المنسكبة ثم خرج فانطلق متستراً تحت ظلام الليل

ولما كان الصباح شاع خبر فرار جيوفري من السجن وكثر تحدث الناس بهِ في كل موضعٍ واجتهد الشُرَط والعيون في تعقبهِ فلم يقفوا لهُ على اثر

. . . . . .

وكان في كل سنةٍ في يوم عيد جيوفري الصغير تأتيهِ هديةٌ من جنوبي اميركا لم يُعرَف مرسلها مكتوبٌ عليها « هديةٌ من طريد الى سبب سعادتهِ جيوفري في يوم مولدهِ » . وما زالت الهدايا تتوارد على الغلام سنةً بعد اخرى الى ان بلغ الحادية والعشرين من عمرهِ . وبينما كان ذات يومٍ في غرفتهِ اعلمهُ الخادم بوجود رجلٍ يودّ مقابلتهُ فأذن لهُ فلما دخل عليهِ اذا هو نفس ضيفهِ الذي سبق ذكرهُ فنهض اليهِ مسلّماً وعانقهُ وكان الرجل قد اصبح شيخاً ثم جلسا يتحادثان ويذكران تلك الليلة فيضحكان . واخبرهُ الرجل انهُ كان في ذلك الوقت لا يملك فلساً ولكنهُ استعان بما كان في المحفظة فسافر الى جنوبي اميركا وتعاطى هنالك اشغالاً عادت عليهِ بكسبٍ عظيم حتى صار من ذوي الاموال الطائلة . ثم عرّف ولدهُ بنفسهِ فكانت بينهما ساعةٌ يعجز القلم عن وصفها وتمكن جيوفري بعد ذلك من تحصيل العفو عنهُ من لدن الحكومة وقضى سائر حياتهِ مع ولدهِ في سرورٍ ونعيم لا ينغصهما الا ذكر تلك الزوجة الامينة والوالدة المسكينة ولم يزل جيوفري الى آخر حياتهِ يهب ابنهُ في كل سنةٍ ما يذكّرهُ تلك الهدية التي كانت سبباً في حفظ حياتهِ واعادة غناهُ

لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون امكن لهُ ان يفعل كذا يعدّونهُ باللام وهو متعدٍّ بنفسهِ لم يرد في شيء من كلام المتقدمين الا كذلك تقول امكنتهُ من كذا اي جعلتهُ يتمكن منهُ مثل مكّنتهُ بالتشديد ثم تقول امكنني هذا الامر على تقدير امكنني من نفسهِ كما صرّح بهِ في الاساس فاستغنوا عن الصلة والاصل محفوظ . وكأن اول من ادخل هذه اللام — ولم نجدها في كلام احدٍ قبل ابن بطوطة — سمع قول القائل هذا الامر ممكنٌ لي فتوهم انها لام التعدية فاجراها على الفعل وانما هي لام التقوية مثلها في قولك زيدٌ محبٌّ لي وعجبت من ضربك لعمرو وهذه اللام تزاد بعد الصفة والمصدر لتقوية عملهما كما تقرر في كتب النحاة ولا تزاد بعد الفعل لاستغنائهِ عن التقوية فلا يقال احببت لزيد ولا ضربت لعمرو كما يظهر لك بالبديهة فتنبه

على ان من المحدثين من زاد هذه اللام في غير ذلك ولم تُسمَع زيادتها الا في الشعر لضرورة الوزن كقول الحافظ جمال الدين اليعمريّ

واستنشقوا لهوا الربيع فانهُ نعم النسيم وعندهُ الطافُ

وانما يقال استنشق الهوآء ولا يقال استنشق لهُ . ومثلهُ قول ابي سعيد الرستميّ

فأعمُر لدنيا لولاك ما خُلقت وأهل دنيا لولاك ما خُلقوا

وقول محمد الحلبي الكوراني من المتأخرين

يسقي وان عزّت عليهِ ورام ان يشفي لدآء محبهِ وحريقهِ

فيديرها من مقلتيهِ وتارةً من وجنتيهِ وتارةً من ريقهِ